



في السنوات الماضية كان المروجون لصفحات التواصل الاجتماعي (الفيسبوك) يتفاخرون بأن موقع التواصل الاجتماعي كان له دوراً كبيراً في نشر الفكر الثوري بين ثوار الربيع العربي، وأن ثوار أول دولة من دول الربيع العربي اعتمدوا عليه كثيراً في التخطيط والتنسيق والمتابعة ونقل الأخبار والحقائق؛ وتعريضة الأنظمة وتشكيل المجموعات ونشر الأفكار الثورية؛ ووعيّة العامة؛ وخاصة جيل ما يسمى (الفيسبوكيين).

وقد نسب الكثير من إنجازات الثورة إلى الطريقة التي تلقت فيها الثوار التسهيلات المقدمة من تلك الصفحات وغيرها من موقع التواصل الاجتماعي وتسخيرها لصالح الثورة في جميع دول الربيع العربي.

لكن الملفت للنظر أن أصحاب موقع التواصل الاجتماعي ربما أصبحوا يتسلّلون من طريقة العمل العشوائية التي ولدت ضغوطاً فائقة على تسيير تدفق المعلومات وتنوعيتها ورقتها وضبط إيقاع النشر؛ والتواصل، سواء حول المادة المنشورة؛ أو الأشخاص المستخدمين؛ أو طريقة الاستخدام، حتى رأينا في الفترة الأخيرة ((ميسيو مارك)) بدأ بشطب حسابات المشتركين وفرض الإنذار تلو الإنذار على النشطاء وإغلاق الصفحات لفترات طويلة، وخاصة مشتركي الفيس بوك من مؤيدي ومعارضي الثورة السورية.

خاصة إذا علمنا أن التعامل مع تلك الواقع أصبح أقرب إلى الإدمان؛ حتى عند الطبقة المثقفة التي لم تتعود يوماً استخدام أي وسيلة اجتماعية؛ سواء من كبار رجال الصحافة والفكر والفن والسياسة، لأنهم أدركوا مدى أهمية هذه الواقع في نشر الفكر، والفكر المضاد للثورة عند العامة، وفي ظل عجز الأنظمة من السيطرة على تلك الواقع، بكلّة السبل التقليدية التي يلجؤون إليها، نظراً لتنوعها وكثتها وحداثتها وتطلبها لكميات هائلة من الخبراء للتعامل معها.

أيضاً لأن تلك الواقع شكلت البديل السريع لنشر الأخبار والصور والأفلام عن مجريات الأحداث لحظة بلحظة، مما جعلها المنافس الأقوى للمحطات التلفزيونية، أيضاً لجرأتها على طرح المحظورات من الأفكار والصور والأفلام ، سواء من الناحية الإنسانية أو السياسية أو الاجتماعية...

طبعاً نعلم أن هناك مضار كثيرة صاحبت هذه الواقع؛ إضافة إلى المحسنات التي ذكرناها سابقاً، ولكن الجميع يعلم أن لكل تقنية جديدة مسالب ومحاسب تتبع من طريقة الاستخدام واتجاهات وثقافة وميل المستخدمين.

خاصة إذا أدركنا أن غالبية المستخدمين هم غير منظمين أو موجهين، أو يعملون وفق استراتيجية مرسومة، ووفق سياق

محدد مسبقاً.

وإنما مسار هؤلاء المستخدمين يرسمه الحدث والسبب الذي استخدموا موقع التواصل الاجتماعي من أجله. لذلك علينا أن نكشف جهودنا وأن ننظم العمل ضمن مجموعات وأن نبدأ بوضع الدراسات العلمية، تحت رعاية الحكومات الجديدة التي أنتجتها تلك الثورات، بغية اجتناب مجازير هذا الاستخدام العشوائي.

أيضاً تجنب مجتمعاتنا مخاطر الانزلاق في مسارات الثورات المضادة؛ لكيلا نقع في دوامة الثورة والثورة المضادة؛ من خلال استخدام هذه المواقع للتجييش والتجييش المضاد.

وفي النهاية نقول لمستر مارك (حلمك علينا) لن نحل عن الفيس قبل إعدام الخسيس.

حتى وإن شطبت جميع المستخدمين فسنبقى نخلق الصفحات المؤيدة والمعارضة حتى زوال آخر طاغية في هذا الزمن. وربما من سوء حظ موقع التواصل الاجتماعي أنها كانت المحرك لأول ثورة للثورات الحالية وربما للثورات اللاحقة حتى يجد الثوار وسائل أخرى بديلة يستطيعون من خلالها خلق المجال الذي يستطيعون إنجاز حركاتهم الثورية لتغيير واقعهم المعاش.

وحتى ذلك الزمن نذكر مستخدمي موقع التواصل الاجتماعي بقول ربنا : {وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ} [التوبه:105]

المصادر: